



التوجيهات النحوية في الحروف عند قطرب في كتابه (معاني القرآن)

أ.د أحمد سهام رشيد

الباحث سيف الدين ضياء عبود

الجامعة العراقية / كلية الآداب



**The grammatical direction in the letters of Qatrib in his book
(Meanings of the Quran)**

Prof. Ahmed Seham Rashid (Ph.D.)

Ahmedsiham739@gmail.com

Researcher Saif El-Din Diyaa Abboud

saifalmdres@gmail.com

College of Arts / AL-Iraqia University



المستخلص

يُعدُّ الحرفُ قسمًا لا يتجزأ من أقسام الكلام (الاسم والفعل والحرف)، وتوضح وظيفته في تكميل الجملة العربية الخالصة، فهو من مكملاتها، وتختصُّ هذه الوظيفة في إظهار دلالاته النحوية واللغوية، إذ يشكلُ حلقةً وصل مع الأسماء والأفعال في صناعة المعنى الذي يقتضيه حال الجملة، وهو القسم الذي يؤدي المعنى في نفسه، وله أهمية تتجلى في المفهوم العام للجملة العربية، وقد أبدى علماء اللغة آراءهم فيها ومنهم قطرب وبرهنوا على أنه ركنٌ من أركان الكلام المفيد الذي لا يُستغنى عنه. وأما عالمنا قطرب فقد كان له نظرة نحوية في بيان أهمية الحروف مستعملًا بذلك علمه الغزير متطرقًا إلى ذكر شواهد كثيرة عليها؛ لتقوية الحجج وتعزيز المفهوم. الكلمات المفتاحية: أقسام الكلام، الحرف، قطرب

Abstract

The letter is one of the indivisible parts of speech, the noun, the verb and the letter, and its function is clear in completing the pure Arabic sentence, as it is one of its complements. It forms a link with nouns and verbs in making the meaning required by the state of the sentence, and it is the part that leads to the meaning in itself, and it has an importance that is reflected in the general concept of the Arabic sentence.

As for our friend Qatrib, he had a grammatical look at explaining the importance of letters, using his abundant knowledge, referring to the many pieces of evidence on it so as to strengthen arguments and reinforce the concept.

Keywords: Parts of speech, Letter and Qatrib

المقدمة

الحمدُ لله خالقُ الأكوانِ، المُنزلُ القرآنَ، الواضعُ بحكمته واحكامه الميزانَ، المُقدِّرُ كلَّ شيءٍ في الزمانِ والمكانِ، والصلاة والسلام على النبيِّ العدنانِ، وعلى آله وصحبه، ومَنْ تبعهم وسار على نهجهم الشريف بإحسان..

أما بعد:

فالبحث هذا ما هو إلا نزرٌ يسيرٌ من رسالتي الموسومة (معاني القرآن وتفسير مشكل إعرابه لقطرب)، فقد تضمّن موضوع (الحروف) التي تطرّق إليها عالمنا الجليل قطرب في كتابه، وهو أحدُ آرائه النحوية إلى جانب الأسماء والأفعال، حيثُ بيّنتُ فيه وظيفة الحروف في العملية النحوية، ومدى تأثيرها على الجملة العربية فضلاً عن بيان لغات بعضها وقراءتها.

وقد قسّمتُ هذا البحث على خمسة مطالب، وتضمّن كلُّ مطلب حرفاً واحداً من مجموعة الحروف، فتضمّن الأولُ منها لام التوكيد، وتضمّن الثاني تاء القسم، والثالث من حروف العطف (لكن، بل)، والرابع من حروف النصب (حتى)، وختمت البحث بالمطلب الخامس الذي تضمّن من حروف الزيادة (رُب). وبيّنتُ في المطالب المذكورة دور كلِّ حرفٍ وتأثيره على الجملة من خلال التطرّق إلى كيفية عمله، وبيان آراء العلماء وجهودهم ومنهم عالمنا الجليل قطرب، وإظهار لغات بعض مَنْ قرأها معزّزاً ذلك بذكر بعض الشواهد الشعرية التي كانت ركيزة أساسية في تخريج الآراء النحوية لكبار العلماء. وأختمت ذلك قائلاً: إنّ للحروف أهميةً كبيرةً في الجملة العربية، إذ تُعدّ من مكملاتها في إظهار المعنى المستخلص المراد، فهي تشكل مساحةً واسعةً في إتمام العملية النحوية.

والله وليُّ التوفيق

المطلب الأول

لام التوكيد

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾^(١):

اللام في (لقد علموا) لام قسم محذوف مقدرة معناها: والله لقد علموا، واللام في (لمن اشتراه) لام الابتداء، و(من) بمنزلة (الذي)، تقديره: والله لقد علموا للذي اشتراه، و(الذي) في موضع رفع بالابتداء، وصلته (اشتراه)، تقول: قد علمت لزيداً أفضل منك، ولقد علمتُ أزيدَ عندك أم عمر؟ فلامُ الابتداء، وهمزة الاستفهام في اقتطاعهما الاسم من العامل الذي قبله وحولهما سواء، فهذا هو الوجه أن تجعل (من) بمنزلة (الذي)، و(اللام) فيه لامُ الابتداء وهو مذهبُ سيبويه، وفيه وجهٌ ثانٍ ذهب إليه غيره، وهو أن تجعل (من) شرطاً، وتجعل (اللام) فيه كالتي تعترض زائدة بين القسم والمقسم عليه نحو قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَرْسَلْنَا رِجْلًا﴾^(٢) فيصيرُ التقدير: والله لقد علموا لئن أحدُ اشتراه يجري

مجري قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَاءَ آبَائِكُمْ﴾^(٣).

مذهب الخليل وسيبويه والخليل: أن (ما) هنا بمنزلة (الذي)، واللام فيها لامُ الابتداء^(٤).

وزعم الخليل ويونس أنه لا تلحق هذه اللام مع كل فعل، فلا تقول: وعدتُك إنك لخارج، إنما يجوز هذا في العلم والظن ونحوه، كما يبتدأ بعدهنَّ أيهم، فإن لم تذكر اللام قلت:

قد علمت أنه منطلق، لا تبتدئه وتحمله على الفعل، لأنه لم يجيء ما يضطرك إلى الابتداء^(٥).

وأما (لئن) فقد قال الفراء: "لا يكتب (لئن) إلا بالياء: ليفرق بينها وبين (لأن)، ففي (لا): ﴿لَيْنَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾^(٦)، وفي اللام ﴿وَلَيْنَ نَصْرُهُمْ لِيُؤَلِّبُوا الْآذِينَ﴾^(٧)، وإنما صيروا جوابَ الجزاء كجواب اليمين لأن اللام في (لقد علموا) وفي (لما آتيناكم) وفي (لئن أخرجوا) إنما هي لام اليمين، كأن موضعها في آخر الكلام، فلما صارت في أوله صارت كاليمين..."^(٨).

ويرى قطرب ذلك في قوله تعالى: (وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ) فهذه لام التوكيد على: علموا للذي اشتراه. وكذلك قوله تعالى: ﴿لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾^(٩)، فاللام الثانية كـ(لام) اليمين، كقولك: لَمَنْ أَتَاكَ وَاللَّهِ لِأَضْرِبَنَّهُ، وكذلك هي الخبر: لَأَنَّ (أقرب) من صلة (مَنْ). وهذا كقولك: لَزَيْدٌ لَبَسَ الرَّجُلُ، وحكي عن بعضهم: لِتَذَهَبَنَّ، بكسر اللام وذلك شاذ قليل^(١٠).

ومثل ذلك قال الشاعر من الطويل:

إِذَا هُوَ أَلَى جَانَفَةٍ قَلْبَتْ لِتُغْنِي عَنِّي ذَا إِنَائِكَ
مِثْلَهَا _____ أَجْمَعُ _____^(١١)

يريد: لِتُغْنِيَنَّ.

وكذلك قوله: ﴿لَأَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾^(١٢) فيمن قرأها مقصورةً: فهذا قولهم سمعناه منهم:
لأريد ذلك يُريد: أريد ذلك، ولأحلفن بالله، يريد: أحلف بالله مثل: (لأقسم)، فكأنها للتأكيد.
وقال الشاعرُ مثل ذلك من الطويل:

لعمري لئن ضاقت عليّ بلادكم ليعلم ربي أن بيتي واسع^(١٣)

كأنه قال: ليعلمن ربي^(١٤).

المطلب الثاني

تاء القسم

قوله تعالى: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾^(١٥)

تاء القسم: مِنْ حُرُوفِ الْجَرِّ وَهُوَ مُخْتَصٌّ بِلِغَةِ الْجَلَالَةِ (الله)، والحق كما يقول سيبويه: إِنَّ الْعَرَبَ لَا يُدْخِلُونَ تَاءَ الْقَسَمِ فِي غَيْرِ لِغَةِ الْجَلَالَةِ (الله). فلا يُقَالُ: تَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَلَا تَرَبِّي لِأَفْعَلَنَّ^(١٦).

والتاء تختص بلفظ الجلالة؛ لكثرة الحلف به كما في الآية، قال الزمخشري: "التاء فيها زيادة معني، وهو التعجب، كأنه تعجب من تسهل الكيد على يده وتأتيه؛ لأن ذلك كان أمراً مقنوطاً منه، لصعوبته وتعذره"^(١٧).

والواو والتاء تكونان للقسم كقوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١٠﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿١١﴾﴾^(١٨)، والتاء لا تدخل إلا على لفظ الجلالة - كما ذكرنا-، والواو تدخل على كل مقسم به^(١٩)، وَاللَّهُ لِأَفْعَلَنَّ وَتَاللَّهِ لِأَفْعَلَنَّ، وتبدل التاء من الواو، وَلَا تدخل من المقسم به إِلَّا فِي اللَّهِ وَحْدَهُ، وَإِنَّمَا امْتَنَعَتْ مِنَ الدُّخُولِ فِي جَمِيعِ مَا دَخَلَتْ فِيهِ الْبَاءُ وَالْوَاوُ؛ لِأَنَّهَا لَمْ تَدْخُلْ عَلَى الْبَاءِ الَّتِي هِيَ الْأَصْلُ، وَإِنَّمَا دَخَلَتْ عَلَى الْوَاوِ الدَّاخِلَةِ عَلَى الْبَاءِ، فَلِذَلِكَ لَمْ تَتَصَرَّفْ^(٢٠).

وقال ابن هشام: "التاء المفردة: مُحَرَّكَةٌ فِي أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ، وَمَحْرُكَةٌ فِي أَوَاخِرِهَا وَمَحْرُكَةٌ فِي أَوَاخِرِ الْأَفْعَالِ، وَمَسْكُونَةٌ فِي أَوَاخِرِهَا، فَالْمَحْرُكَةُ فِي أَوَائِلِ الْأَسْمَاءِ: حَرْفٌ جَرَّ مَعْنَاهُ الْقِسْمَ"^(٢١) ومن ذلك تاء القسم.

وقال قطرب: "وأما (وتالله لأكيدن) أصنامكم) فإنما ادخلا التاء في هذا الاسم خاصة ولم يقولوا: تربي، تالرحمن، كما قالوا: وربّي وبربي، وإنما وصفوا هذا الاسم بالتاء؛ لأته

أكثر أسماء رَبِّكَ - في كلامهم - وهو الاسم وربِّي والرحمن والرحيم، فكان الاسمُ أعمَّ في كلامهم وأكثر، فتوسعوا فيه بحروف القسم دون غيره" (٢٢).

ويوافق قطرب شيخه سيبويه في تاء القسم في غير لفظ الجلالة؛ لأنَّ دخوله خاصٌّ على هذا الاسم العظيم، ولا يمكن دخولها في غيره بخلاف بقية حروف القسم، وكأنته حرفٌ استثنائيٌّ.

المطلب الثالث

لكن ، بل

قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ﴾ (٢٣)

جاء في لسان العرب أنَّ في (لكنَّ) لغتين بِتَشْدِيدِ النُّونِ مَفْتُوحَةً، وَإِسْكَانِيهَا خَفِيفَةً، فَمَنْ شَدَّدَهَا نَصَبَ بِهَا الْأَسْمَاءَ وَلَمْ يَلِهَا فَعَلٌ وَلَا يَفْعَلُ، وَمَنْ خَفَّفَ نُونَهَا وَأَسْكَانَهَا لَمْ يُعْمَلْهَا فِي شَيْءٍ اسْمٍ وَلَا فِعْلٍ، وَكَانَ الَّذِي يَعْمَلُ فِي الْأِسْمِ الَّذِي بَعْدَهَا مَا مَعَهُ مِمَّا يَنْصِبُهُ أَوْ يَرْفَعُهُ أَوْ يَخْفِضُهُ، وَفِي آيَةِ الْأَحْزَابِ الْمَذْكُورَةِ إِضْمَارُ (كَانَ) بَعْدَ (وَلَكِن) فَنَصَبَتْ بِهَا، وَلَوْ رَفَعْتَهُ عَلَى أَنْ تَضَمَرَ (هُوَ) فَتَرِيدُ (وَلَكِنُّ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ) كَانَ صُورًا، فَإِذَا أُلْقِيَتْ مِنْ (لَكِنِ) الْوَاوُ الَّتِي فِي أَوَّلِهَا أَثَرَتْ الْعَرَبُ تَخْفِيفَ نُونِهَا، وَ(إِذَا أَدْخَلُوا الْوَاوَ أَثَرُوا تَشْدِيدَهَا، وَإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّهَا رُجُوعٌ عَمَّا أَصَابَ أَوَّلَ الْكَلَامِ فَشَبَّهَتْ بِ(بَلِ) إِذْ كَانَتْ رُجُوعًا مِثْلَهَا، وَلَوْ قُلْتَ: لَمْ يَقَمْ أَخُوكَ بَلِ أَبُوكَ، ثُمَّ تَقُولُ: لَمْ يَقَمْ أَخُوكَ لَكِنِ أَبُوكَ فَتَرَاهُمَا فِي مَعْنَى وَاحِدٍ، وَالْوَاوُ لَا تَصْلُحُ فِي (بَلِ)، وَإِذَا قَالُوا: وَلَكِنِ فَادْخَلُوا (الْوَاوُ) تَبَاعَدَتْ مِنْ (بَلِ): إِذْ لَمْ تَصْلُحْ (الْوَاوُ) فِي بَلِ، قَالَ الْجَوْهَرِيُّ: "بَعْضُ النَّحْوِيِّينَ يَقُولُ أَصْلُهُ إِنَّ وَاللَّامِ وَالْكَافُ زَوَائِدٌ، قَالَ: يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْعَرَبَ تُدْخِلُ اللَّامَ فِي حَبْرَهَا".

وَأَنْشَدَ الْفَرَّاءُ: "وَلَكِنِّي مِنْ حُبِّهَا لَعَمِيذٌ" فَلَمْ يُدْخِلِ اللَّامَ إِلَّا أَنْ مَعْنَاهَا (إِنَّ)، وَلَا تَجُوزُ الإِمَالَةُ فِي (لَكِنْ) وَصُورَةُ اللَّفْظِ بِهَا (لَاكِنْ).

وَقَالَ الْكِسَائِيُّ: حَرْفَانِ مِنَ الْإِسْتِثْنَاءِ لَا يَقَعَانِ أَكْثَرَ مَا يَقَعَانِ إِلَّا مَعَ الْجَدِّ وَهُمَا (بَلْ) و(لَكِنْ)، وَالْعَرَبُ تَجْعَلُهُمَا مِثْلَ: وَوِ النَّسَقِ".

وَقَالَ ابْنُ سَيْدَةَ: "وَلَكِنْ وَلَكِنْ حَرْفٌ يُثَبِّتُ بِهِ بَعْدَ النَّفْيِ".

وَقَالَ ابْنُ جَنِّي: "الْقَوْلُ فِي أَلْفٍ (لَكِنَّ) و(لَكِنْ) أَنْ يَكُونَا أَصْلَيْنِ؛ لِأَنَّ الْكَلِمَةَ حَرْفَانِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تُوجَدَ الزِّيَادَةُ فِي الْحُرُوفِ".

وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: "(لَكِنْ)، خَفِيفَةٌ وَثَقِيلَةٌ، حَرْفٌ عَطْفٍ لِلِاسْتِذْرَاكِ وَالتَّحْقِيقِ يُوجِبُ بِهَا بَعْدَ نَفْيٍ، وَالتَّثْقِيلَةَ تَعْمَلُ عَمَلًا (إِنَّ) تَنْصِبُ الْأِسْمَ وَتَرْفَعُ الْخَبَرَ، وَيُسْتَذْرَكُ بِهَا بَعْدَ النَّفْيِ وَالْإِيجَابِ^(٢٤)".

ومعنى (لكن) في الآية ولكنه رسول الله، ومثله ﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^(٢٥) أَرَادَ: ولكنه ومن قرأ بالنصب أَرَادَ وَلَكِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ^(٢٦). وَإِنْ سُبِقَتْ بِإِيجَابٍ نَحْوُ: قَامَ عَلَيَّ لَكِنْ مُحَمَّدٌ لَمْ يَقُمْ^(٢٧)، وَمَنْ رَفَعَ لَمْ يُضْمَرْ (كَانَ) أَرَادَ: ولكن هو رسول الله^(٢٨).

وَقَدْ اخْتَلَفَ الْفَرَّاءُ فِي "مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ"، فَأَكْثَرَهُمْ عَلَى تَخْفِيفِهَا وَنَصَبِ (رَسُولٍ) بِإِضْمَارِ (كَانَ) أَوْ بِالْعَطْفِ عَلَى (أَبَا أَحَدٍ). وَالْأَوَّلُ أَتْيَقٌ بِأَنَّ (لَكِنْ) لَيْسَتْ عَاطِفَةً لِأَجْلِ الْوَاوِ، فَالْأَتْيَقُ لَهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الْجُمْلَةِ كـ(بَلْ) الْعَاطِفَةِ، وَقَرَأَ أَبُو عَمْرٍو بِتَشْدِيدِهَا عَلَى أَنَّهَا عَامِلَةٌ وَحُذِفَ خَبَرُهَا، أَيَّ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ هُوَ (أَيَّ) مُحَمَّدٌ ﷺ^(٢٩).

وقال قطرب: "وأما (لكن) و(بل) فهما إيجاب بعد النفي، تقول: مررتُ بزيدِ بل عمرو، ولكن عمرو، و"ما كان محمدٌ أباً أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله" على ولكن كان رسول الله، وقد تكون "بل" بعد إيجابٍ نحو: مررتُ بزيدِ بل عمرو، ورجعَ عن الأول (٣٠).

المطلب الرابع

حتى

قوله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾^(٣١)

قَرَأَ نَافِعَ (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) بِالرَّفْعِ، وَحِجَّتْهَا أَنَّهَا بِمَعْنَى: قَالَ الرَّسُولُ عَلَى الْمَاضِي وَلَيْسَتْ عَلَى الْمُسْتَقْبَلِ، وَإِنَّمَا يَنْصَبُ مِنْ هَذَا الْبَابِ مَا كَانَ مُسْتَقْبَلًا، فَرَفَعَ (يَقُولُ)؛ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَاضٍ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ (حَتَّى يَقُولَ) بِالنَّصْبِ، وَحِجَّتْهُمْ أَنَّهَا بِمَعْنَى الْإِنْتِظَارِ وَهُوَ حِكَايَةُ حَالِ الْمَعْنَى (وَزُلْزِلُوا) إِلَى أَنْ يَقُولَ الرَّسُولُ^(٣٢).

وَقَالَ الْفَرَّاءُ مَا نَصَّهُ: (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) هَذِهِ قِرَاءَةُ أَهْلِ الْحَرَمِينَ، وَقَرَأَ أَهْلُ الْكُوفَةِ وَالْحَسَنُ وَأَبُو عَمْرٍو: (حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) بِالنَّصْبِ وَهُوَ اخْتِيَارُ أَبِي عُبَيْدَةَ، وَلَهُ فِي ذَلِكَ حِجَّتَانِ:

الأولى: عن أبي عمرو قال: (زلزلوا) فعل ماضٍ، و(يقول) فعل مستقبل، فلما اختلفا كان الوجه النصب.

الثانية: حكاها عن الكسائي قال: "إذا تطاول الفعل الماضي صار بمنزلة المستقبل".

وقال أبو جعفر: "أمَّا الحجة الأولى بأن (زلزلوا) ماضٍ و (يقول) مستقبل فذلك شيء ليس فيه علة الرفع ولا النصب؛ لأنَّ (حتى) ليست من حروف العطف في الأفعال ولا هي من عوامل الأفعال، وكأَنَّ هذه الحجة غلطٌ".

أمَّا حجة الكسائي، فلم يذكر العلة في النصب، ولو كان الأول مستقبلًا لكان السؤال بحالِهِ، ومذهب سيبويه في (حتى) أَنَّ النصب فيما بعدها من جهتين والرفع من جهتين

تقول: (سرتُ حتى أدخلها) على أنّ السير والدخول جميعاً قد مضيا، أي: سرتُ إلى أن أدخلها، وهذا غاية وعليه قراءة من قرأ بالنصب.

والوجه الآخر في النصب - في غير الآية - سرتُ فأدخلها وقد مضيا جميعاً، أي: كنتُ سرتُ فدخلتُ، ولا تعمل هنا بإضمار (أن)؛ لأن بعدها جملةً^(٣٣).

فعلی هذه القراءة بالرفع وهي أبين وأصحّ معنی، أي: وزلزلوا حتى الرسول يقولُ أي: هذه حاله والنصب على الغاية ليس في هذا المعنى^(٣٤).

وقال سيبويه: "واعلم أنه لا يجوز القول: (سرت حتى أدخلها وتطلع الشمس) يقول: إذا رفعت (طلوع الشمس) لم يجز، وإن نصبت وقد رفعت فهو محالٌ حتى تنصب فعلك من قبل العطف، فهذا محالٌ أن ترفع، ولم يكن الرفع؛ لأنّ (طلوع الشمس) لا يكون أن يؤدبه سيرك فترفع (تطلع) وقد حلت بينه وبين الناصبة، ويحسن أن تقول: سرت حتى تطلع الشمس وحتى أدخلها، كما يجوز أن تقول: سرتُ إلى يوم الجمعة، وحتى أدخلها"^(٣٥).

ولا ينتصب الفعل بعد (حتى) إلا إذا كان مستقبلاً، ثم إن كان استقباله بالنظر إلى زمن التكلم فالنصب واجب نحو ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عََلَكَيْنِ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^(٣٦) وإن كان بالنسبة إلى ما قبلها فالوجهان نحو: (حتى يقول الرسول) فإن قولهم هو مستقبل بالنظر إلى الزلزال، لا بالنظر إلى زمن من قص ذلك علينا.

وكذلك لا يرتفع الفعل بعد (حتى) إلا إذا كان حالاً، إن كانت حالته بالنسبة إلى زمن التكلم فالرفع واجب، كقولك سرت حتى أدخلها، إذا قلت ذلك وأنت في حالة الدخول، وإن كانت حالته ليست حقيقية، بل كانت محكية رُفع، وجاز نصبه إذا لم تقدر الحكاية نحو (وزلزلوا حتى يقول الرسول)^(٣٧).

وقال قطرب: "قراءة مُجاهد (وَزُلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) برفع اللام، وقراءة أبي عمرو (حَتَّى يَقُولَ) بالنصب، فالرفعُ على: حَتَّى أَنَّ الرَّسُولَ يَقُولُ، والنصب حَتَّى قَالَ، كَأَنَّهُ **صيره** غاية، كما نقول: سرْتُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ -والله أعلم- أي: حتى طلوعها"^(٣٨).

وقال في موضع آخر: "لأنَّ (حَتَّى) غايةٌ للشيء، و(إلى) قريبةٌ منها"^(٣٩).

المطلب الخامس

من الحروف الزائدة (رَبَّ)

قوله تعالى: ﴿رَبِّمَا يَوْذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٤٠)

قَرَأَ نَافِعٌ وَعَاصِمٌ بِالتَّخْفِيفِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالتَّشْدِيدِ، قَالَ الْكَسَائِيُّ: "هُمَا لَعَنَانِ، وَالْأَصْلُ التَّشْدِيدُ؛ لِأَنَّكَ لَوْ صَغَرْتَ (رَبَّ) لَقُلْتَ: رَبِّيبٌ فَرُدِدْتَ إِلَى أَصْلِهِ، فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: فَمَا مَوْضِعُ (مَا) فِي (رَبِّمَا) قِيلَ فِيهِ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ (مَا) نَائِبَةً عَنِ اسْمٍ مَنكُورٍ فِي مَوْضِعِ جَرِّ بِمَعْنَى (شَيْءٍ)، وَالثَّانِي: أَنْ تَدْخُلَ كَافَّةً نَحْوَ هَذِهِ الْآيَةِ وَذَلِكَ أَنْ إِنْ لَا يَلِيهِمَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ، فَإِذَا وَلِيَتْهُمَا الْأَفْعَالُ وَصَلُوهُمَا بِ(مَا)^(٤١).

وفي الآية: أدخل مع (رَبَّ) (مَا) ؛ لِيَتَكَلَّمَ بِالفعل بعدها، وَإِنْ شئتَ جعلتَ (مَا) بِمَنْزِلَةِ (شَيْءٍ) فَكَأَنَّكَ قُلْتَ: "وَرَبَّ شَيْءٍ يَوْذُ" أَي: "رَبَّ وَدَّ يَوْذُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا"^(٤٢).

وَإِذَا أَحَقَّتْ (مَا) هِيَئَتَهَا لِلْأَفْعَالِ فَقُلْتَ: رَبِّمَا يَقُومُ زَيْدٌ وَ "رَبِّمَا يُوذُ الَّذِينَ كَفَرُوا..."^(٤٣).

وَإِنَّ (رَبَّ) لَا يَلِيهَا إِلَّا الْأَسْمَاءُ، فَإِذَا اتَّصَلَتْ بِهَا (مَا)، غَيَّرْتَ حِكْمَهَا وَأَوَّلْتَهَا الْفِعْلَ كَمَا جَاءَ فِي الْآيَةِ الْمَذْكُورَةِ^(٤٤)، وَلَوْ حَذَفْتَ مِنْهَا (مَا) لَمْ تَقَعِ إِلَّا عَلَى الْأَسْمَاءِ النَّكَرَاتِ، نَحْوُ رَبِّ رَجُلٍ يَا فَتَى^(٤٥).

و(رَبَّ) حرف جرّ عند البصريين، ودليل حرفيتها مساواتها الحرف في الدلالة على معنى غير مفهوم جنسه بلفظها، بخلاف أسماء الاستفهام والشرط، فإنّها تدلُّ على معنى في مُسمى مفهوم جنسه بلفظها^(٤٦)، وأنها لا يحسن فيها علامات الاسم، ولا علامات الأفعال، وأنها قد جاءت لمعنى في غيرها كالحرف وهو تقليل ما دخلت عليه نحو رَبِّ رَجُلٍ يَفْهَمُ، أَي ذَلِكَ قَلِيلٌ^(٤٧).

وزهب الكوفيون والأخفش في أحد قوليهِ إلى أنّها اسمٌ يحكمُ على موضعه بالإعراب، ووافقهم ابن الطراوة، واستدلوا على اسميتها بالإخبار عنها في قول ثابت بن كعب من الكامل:

إِنْ يُقْتَلُوكَ فَإِنَّ قَتْلَكَ لَمْ يَكُنْ عَارًا عَلَيْكَ وَرُبَّ قَتْلٍ عَارٌ^(٤٨)

فَ(عَارٌ): خبر مبتدأ محذوف، أي: هو عار، أو خبر عن مجرور (رُبِّ)، إذ هو في موضع رفع بالابتداء^(٤٩)، وقولهم: "إِنَّهَا اسمٌ حُمِلَ على (كم) لَأَنَّ (كم) للعدد والتكثير، و(رُبِّ) للعدد والتقليل، فقط على أَنَّ كم اسمٌ: لأنه يُحسن فيها علامات الاسم، نحو: بكم رجلٍ مررتُ^(٥٠)."

واختلف النحويون، في معنى (رُبِّ) قيل: إنها للتقليل، وهو مذهب أكثر النحويين، ونسبه صاحبُ البسيط إلى سيبويه، وقيل: إنها للتكثير، نقله صاحبُ الإفصاح عن صاحب العين، وابن درستويه، وقيل: إنها للتقليل والتكثير، فهي من الأضداد وإلى هذا ذهب الفارسيّ وقيل: إنها أكثر ما تكون للتكثير، والتقليل بها نادر، وهو اختيار ابن مالك، وإنها حرفٌ إثبات، لم يوضع لتقليلٍ ولا تكثير، بل ذلك مستفادٌ من السياق، وإنها للتكثير في موضع المباهاة والافتخار، والراجح من هذه الأقوال، ما ذهب إليه الجمهور: إنها حرف تقليل، والدليل على ذلك أنها قد جاءت في مواضع لا تحتل إلا التقليل، لأنَّ ذلك هو المطرد فيها^(٥١).

وَفِي (رُبِّ) سِتُّ عَشْرَةَ لُغَةً: ضم الرّاء وَفَتْحَهَا، وَكِلَاهُمَا مَعَ التَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ، وَالْأُوْجُه الْأَرْبَعَةُ مَعَ تَاءِ التَّأْنِيثِ سَاكِنَةً أَوْ مَحْرُكَةً، وَمَعَ التَّجْرُدِ مِنْهَا، وَالضَّمِّ وَالْفَتْحِ مَعَ إِسْكَانِ الْبَاءِ وَضَمِّ الْحَرْفَيْنِ مَعَ التَّشْدِيدِ وَمَعَ التَّخْفِيفِ^(٥٢).

وقال قطرب: "وَأَمَّا قَوْلُهُ ﴿رُبَّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فَإِنَّهُمْ قَالُوا فِيهِ فِي اللُّغَةِ: رُبَّ رَجُلٍ

يقول: وَرَبَّ رَجُلٍ، بالفتح، وَرُبَّ رَجُلٍ بحركة الباء بغير تنقيح، وَرَبَّ رَجُلٍ بفتح الراء وتحريك الباء بغير تنقيح، أنشد في يونس من الكامل:

عَلَّقْتُهَا عَرَضًا وَأَقْتُلُ قَوْمَهَا رُبَّ مَرْعَمٍ لِمَرْءٍ لَيْسَ بِمَرْعَمٍ (٥٣)

مخفف بغير تنقيح.

وقال لبيد من الكامل:

بَلْ أَنْتِ لَا تَدْرِينَ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ طَلَّقَ لَذِيذٍ لَهْوَهَا وَنِدَامُهَا (٥٤)

وأهل الحجاز وكثير من قيس يقولون: (رُبَمَا) بالتخفيف، وتميمٌ وأسدٌ يقولون: (رُبَمَا) بالنتقيل، وتيم الرباب من تميمٍ (رُبَمَا) بالنتقيل وفتح الراء.

وزعم يونس: أنهم يقولون: (رُبَّ رَجُلٍ) بإسكان الباء، وقالوا فيها: ب(ما): رُبَمَا كَانَ ذَلِكَ، وَرُبَمَا كَانَ ذَلِكَ، لغة بني كلاب الفتح.

وقالوا فيها بالناء: رُبَّتَمَا كَانَ ذَلِكَ، فَتَقْلَهُ، وَرَبَّتَمَا كَانَ ذَلِكَ بالتخفيف والفتح، وقالوا أَيْضًا: رَبَّتَ رَجُلٍ، وَرَبَّتَ رَجُلٍ، ببتقيل الباء مَعَ فَتْحٍ، وقالوا أَيْضًا: رَبَّتَ رَجُلٍ، ففتحوا الراء وخففوا الباء.

وقال أبو ذؤيب من البسيط:

أَمَّ الصَّبِيِّينَ هَلْ تَدْرِينَ رَبَّمَا عِيَاءٌ قُلَّتْهَا شَمَاءٌ قَرَوَاخُ (٥٥)

فتقل.

وقال الراجز من الرجز:

يَا صَاجِبِي رُبَّتْ إِنْسَانٍ حَسَنٌ يَسْأَلُ عَنْكَ الْيَوْمَ أَوْ يَسْأَلُ عَن (٥٦)

وقالوا رُبَّتْما، وأنشدني المفضل من السريع:

ماوي، يَا رُبَّتْما غارةٍ شَعْواء، كاللذعة بالميسم (٥٧)
فثقل (٥٨).

الخاتمة

يمكن أن نذكر ما توصلنا إليه على النحو الآتي:

١. الحرف وإن كان يؤدي المعنى في نفسه إلا إن وظيفة رئيسة في النحو العربي.
٢. لكل حرف وظيفة، وهذه الوظيفة تختص في إظهار دلالة كل حرف، ومدى تأثيره على الجملة.
٣. إن الحروف تشكل حلقة وصل مع الأسماء والأفعال في إتمام المعنى، وإن كانت غير ظاهرة في بعض الجمل كجملة المبتدأ والخبر على سبيل التمثيل، أمّا في بعضها الآخر فظهورها واجب؛ لتأدية الوظيفة النحوية.
٤. اختلاف اللغات والقراءات في نطق بعض الحروف ك (رُب) لا يؤثر على خصوصيتها ودلالاتها؛ فالحرف يبقى جزءاً مهماً في بيان معنى الجملة.
٥. الحروف في النحو العربي كثيرة جداً، وهذا ما يدل على أهميتها الكبيرة في صناعة المعنى، إذ لا يمكن الاستغناء عنها في مواضع عدّة؛ لأنّها من مكملات الجملة العربية.

٦. آراء العلماء الأجلّاء في الحروف ما هو إلا إظهار قيمتها الفعلية في بناء الجملة وتقويمها وإن كان هناك اتفاق أو اختلاف فيما بينهم، فمهمة الحرف تتجلى في مفهوم الجملة.

٧. كان لقطرب دورٌ بارزٌ في الحروف، فقد ذكرها كثيرًا في كتابه بأنواعها ومعانيها وتناوبها؛ نظرًا لأهميتها، حيث أبدى آراءه بجهوده المثنىة، ووجهها نحويًا ودلاليًا، وهذا ما جعله عالمًا عاملاً بعلمه الغزير في إيضاح أهميتها، واستدلّ بشواهد كثيرة فريدة على ذلك؛ لتقوية الحجّة، ولإتمام العملية النحوية .

الهوامش

- (١) سورة البقرة : الآية ١٠٢
- (٢) سورة الروم : الآية ٥١
- (٣) سورة آل عمران : الآية ٨١
- (٤) سر صناعة الإعراب ١/٣٩٨-٣٩٩
- (٥) الكتاب لسيبويه ١/٢٠٧
- (٦) سورة الحشر : الآية ١٢
- (٧) سورة الحشر : الآية ١٢
- (٨) معاني القرآن للقرآء ١/٦١
- (٩) سورة الأعراف : الآية ١٨
- (١٠) ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ١١/٤٣٤
- (١١) سورة القيامة : الآية ١
- (١٢) ينظر : معاني القرآن للقرآء ٢/١٣١، وخزانة الأدب وغاية الأرب ١٠/٦٨
- (١٣) معاني القرآن لقطرب ٢/٤٢٢-٤٢٣
- (١٤) سورة الأنبياء : الآية ٥٧
- (١٥) ينظر : معجم القواعد العربية ٤/٣
- (١٦) أسلوب القسم ١/١١
- (١٧) سورة الفجر : الآية ١-٢
- (١٨) جامع الدروس العربية ٣/١٨٦
- (١٩) المقتضب ٢/٣٢٠
- (٢٠) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ١٥٧، وينظر : أسلوب القسم ١/١١

- (٢١) معاني القرآن لقطرب ١٠١٨/٣
- (٢٢) سورة الأحزاب : الآية ٤٠
- (٢٣) لسان العرب ٣٩١/١٣
- (٢٤) سورة يونس : الآية ٣٧
- (٢٥) الجمل في النحو ٢٣٣
- (٢٦) معجم القواعد العربية ٦٣/٢
- (٢٧) معاني القرآن للقرآء ٥٧/٢
- (٢٨) البرهان في علوم القرآن ٣٩١/٤
- (٢٩) معاني القرآن لقطرب ٦٠١/١
- (٣٠) سورة البقرة : الآية ٢١٤
- (٣١) حجة القراءات ١٣١/١
- (٣٢) معاني القرآن للنحاس ١٩-١٨/١
- (٣٣) المصدر نفسه ٢٠/١
- (٣٤) الكتاب لسيبويه ٢٧-٢٦/٣
- (٣٥) سورة طه : الآية ٩١
- (٣٦) مغني اللبيب عن كتب الأعراب ١٧٠/١
- (٣٧) معاني القرآن لقطرب ١٧٧-١٧٦/١
- (٣٨) معاني القرآن لقطرب ٨٩٢/٢
- (٣٩) سورة الحجر : الآية ٢
- (٤٠) حجة القراءات ٣٨١-٣٨٠/١

- (٤١) معاني القرآن للأخفش ٤١١/٢
- (٤٢) المقتضب ٥٥/٢
- (٤٣) درة الغواص في أوام الخواص ٧٨-٧٧/١
- (٤٤) المقتضب ٤٨/٢
- (٤٥) الجنى الداني في حروف المعاني ٤٣٨/١
- (٤٦) الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٨٦/٢
- (٤٧) ينظر : شرح الشواهد الشعرية في أمات الكتب النحوية ٤٦٥/١
- (٤٨) الجنى الداني في حروف المعاني ٤٣٩/١
- (٤٩) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٨٧-٦٨٦/٢
- (٥٠) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ٤٤٠-٤٣٩/١
- (٥١) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعراب ١٨٤/١
- (٥٢) شرح ديوان عنتره للتبريزي ١٥٢
- (٥٣) ديوان لبيد بن ربيعة العامري ١٠٣
- (٥٤) ديوان الهذليين ٤٩/١
- (٥٥) خزنة الأدب ٣٨٦/٩
- (٥٦) لسان العرب ٤٠٩/١
- (٥٧) معاني القرآن لقطرب ١١٢٥/٣، ١١٢٦، ١١٢٧

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. أسلوب القسم الظاهر في القرآن الكريم ، بلاغته وأغراضه، د. سامي عطا حسن، جامعة آل البيت، المفرق، المملكة الأردنية الهاشمية.
٢. الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين: البصريين والكوفيين، أبو بركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري، ط١، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
٣. البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.
٤. جامع الدروس العربية، الشيخ العلامة مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، ط٢٨، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
٥. الجمل في النحو، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ط٥، ت: د. فخر الدين قباوة، ١٩٩٥.
٦. الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن علي المرادي المصري المالكي، ط١، ت: د فخر الدين قباوة، الأستاذ محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.
٧. حجة القراءات، عبد الرحمن بن محمد زنجلة أبو زرعة، ط٢، ت: سعيد الأفغاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٨. خزانة الأدب وغاية الأرب- ابن حجة الحموي، تقي الدين ابو بكر علي بن عبد الله الحموي الأزرازي، ط١، ت: عصام شقيو، دار مكتبة الهلال، بيروت، ١٩٨٧.
٩. درة الغواص في أوام الخواص، القائم علي بن محمد بن عثمان أبو محمد الحريري البصري، ط١، ت: عرفات مطرجي، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
١٠. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
١١. سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان بن جني، دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٨٥.
١٢. الكتاب ، عمرو بن عثمان بن قنبر الحاثي، أبو بشر الملقب بسبيويه، ت: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
١٣. لسان العرب- ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت، ط١.

- ١٤ . معاني القرآن لقطرب: أبو علي محمد بن المستنير قطرب، ط١، ت: د. محمد القرين، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، الرياض، ١٤٤٢هـ-٢٠٢١م.
- ١٥ . معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء البلخي ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط، ط١، ت: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
- ١٦ . معاني القرآن للفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، ت: أحمد يوسف النجاتي- محمد علي النجار- عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط١.
- ١٧ . معاني القرآن للنحاس، أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد، ط١، ت: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
- ١٨ . معجم القواعد العربي، الشيخ عبد الغني دقر، مكتبة مشكاة الإسلامية.
- ١٩ . مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام، ت: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، دار الفكر، دمشق، ط٦، ١٩٨٥.
- ٢٠ . المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، ت: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت، د. ت.